محنة القمني مع العقل حتى النهاية

فاصلة

تثار هذه الأيام ردود أفعال متباينة، منها متشنجة، ومنها متفهمة، لإعلان سيد القمني عن توبته وتراجعه عن أفكاره ، و حتى التوقف عن الكتابة على اثر تهديدات تلقاها القمني من جماعة الجهاد، أو القاعدة أو ربما غيرها من الجماعات المسلحة أمهلته أسبوعاً لإعلان هذه التوبة.
اختار القمني التوقف عن الكتابة. وهو حق شخصي رجحته ظروف عدة منها الضغوط النفسية التي تتعرض لها أسرته بسبب عدم قدرتها على مغادرة المنزل خوفا من هذه التهديدات وأن حياتهم باتت معطلة تماما بسبب سجنهم المنزلي الذي اضطروا إليه للتقليل من خطر الخروج. وهي أسباب مقنعة بذاتها تدفع العقلاء إلى أن يفكروا ويتصرفوا على هذا النحو. ونحن هنا في العراق أدرى بعواقب مثل هذه الأمور أكثر من غيرنا من العرب الذين يعيشون في الغرب ، الذين وصفوا القمني بالجبن والانهزامية ، وطالبوه بمواقف لا واقعية في ظل ظروف معقدة تتعرض لها الحريات إلى هجمة شرسة بقوة السلاح .
والقمني كما هو معلوم للجميع نموذج كبير وواضح في مجاله، وعبر عن شجاعة وجرأة لا نظير لها في كل أبحاثه وتنقيباته في النصوص، فضلا عن جرأته الملحوظة في تصريحاته ، وموقفه العقلاني من المتغيرات التي تمر بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية.
من الممكن القول إننا بتوبة القمني نفتتح صفحة جديدة من الصراع بين العقل والجنون، بين القتل و الحوار، وعبر مشهد التوبة ذاته يعاد نموذج محاكمة تاريخية تمتد لأكثر من ألف عام ، محاكمة سياسية في إطار ديني، محاكمة تتكرر في أزمنة متباينة يستحضرها الضمير الإسلامي . منذ ابن المقفع والحلاج والسهروردي وابن عربي وصولا إلى علي عبد الرازق وفرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل وغيرهم .
قد تخلف توبة القمني المعلنة إحباطا لدى البعض وتدفعهم إلى عدم رؤية المشهد بوضوح، ولا اقصد الإحباط الذي يعيشه الزيات وكمال حبيب وغيرهما ، أبواق التكفير والقمع ، وإنما إحباط الليبراليين الذين سارع بعضهم إلى وصف سيد القمني بأوصاف لا يستحقها، منطلقين من مواقف تقفز على الوقائع، وتقرأ هذه التوبة قراءة آنية تفصلها عن سياقها . ولسنا هنا بصدد تبرير هذه التوبة أو الدفاع عنها ، بقدر ما نحاول فهمها للوصول إلى الواقع الذي يؤدي إلى القمع والإسكات ، ومصادرة حرية التفكير الديني، ولا يمكن لنا ونحن نفكر في موقف القمني هذا أن ننسى صور فرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل وصادق جلال العظم والعفيف الأخضر ومحمود طه وغيرهم لنطابقها مع تفاصيل لحظتنا هذه . الأمر الذي سيساعدنا على النظر في فهم إعلان القمني الذي جاء تحت ضغوط قاهرة، وتهديدات بتصفية العائلة والذات. ونرى من السذاجة قراءة هذه التوبة بوصفها تراجعا، فالتعامل مع الموضوع بهذه النظرة يكشف عن الخلل في قراءتنا لمشكلتنا الثقافية. أما الاستشهاد بتراجع طه حسين وعقدة الذنب الدينية التي نقلت عن علي عبد الرازق قبيل وفاته ، بوصفها الدليل على وجود نزعة مصرية محددة تلجأ إلى التراجع في الأزمات تعميم يسطح المشروع التنويري برمته وليس القمني وحده.
لذا يتساءل البعض هل كان سيد القمني محقا في اتخاذ هذا الموقف وإعلانه؟ . نعتقد أن القمني وحده القادر على الإجابة عن هذا السؤال ، بعد أن توصل إلى أن لا حوار مع هؤلاء، فالقمني ممثلا حيا لفكرة الحوار ولا مقدس لديه خارج الحوار، لكن القاتل هذه المرة لا يؤمن بالحوار، وإنما يلجأ إلى السكين والرصاص، فكيف يمكن لرجل بهذه الذهنية والعلمية، أن يتعاطى مع التهديد؟ بعد تاريخ طويل مع هؤلاء الذين يعرفهم أكثر من غيره بوصفه المطلع على مشكلتهم الثقافية ، وأساليب عملهم، وهو من ناحية ثانية يعرف انه ليس سوبرمان العصر الجديد خاصة هو يعيش في ظل أنظمة سياسية لا تكفل للمثقف حرية التفكير وحتى حرية اختيار المعتقد .
فالسيد القمني بين ضغوط عدة تتمثل بالمهددين وسكوت الدولة . و في النهاية إنسان يتعرض لتهديد بالتصفية ثمنا لمواقف وأفكار في مجتمعات فيها الكثير من الخلل في بناها النفسي الاجتماعية والثقافية
في معركة كهذه يعيش القمني صراعا شخصيا وحده، وسط مشهد فيه الكثير من الفوضى والجهل وحتى غياب القانون . فالموقف في واقع الحال لا علاقة له بالجبن والشجاعة بقدر تعلقه بالحكمة والصمت في ظروف الضجيج وخلط الأوراق، وقد قالوا قديما إن الجهلة يقتلون قادتهم بأيديهم، فلماذا يسلم القمني رقبته للقتلة ما دام بمقدوره اللجوء لظروف الاضطرار المكفولة عقلا وشرعا وإنسانيا. فمعروف أن القمني كان ولا يزال سلاحا حقيقيا في مواجهة قوى وجدت في (موسى وأخر أيام تل العمارنة) و (الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية) ، و(النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) ، و(رب الزمان) و (حروب دولة الرسول) و (الدين والديمقراطية) ، وغيرها الكثير من المواجهات مع النص ،وقراءات للوضع السياسي والثقافي العربيين . وجدت في كل هذا خطراً تنويريا يعكر صفو خطابها، فقادت القمني إلى منطقها باسم التوبة أو الخروج على الجماعة، التي فكك القمني نصوصها ، وكشف زيف فكرة الحجر على المعنى، وأحدث فجوات كبيرة في جدار متهالك .
إن المعركة في جذورها سياسية ولا علاقة لها بالإسلام ، وهي دفاع عن هوية سياسية ،وقمع ثقافي وانساني تعيشه مصر وتحولات حادة في الشارع المصري هذه الأيام، وهي ظروف بحاجة لقربان جديد ، لذا حاول القمني أن يقطع الطريق أيضا بحكمة وقراءة متأنية لنص الواقع ، لذا يتوجب أن نضع إعلان القمني في سياقه ، وعدم قراءته قراءة ماضوية أيضا، فبدلا من الهجوم الذي يشنه بعض الليبراليين على القمني، يتوجب عليهم ان يستعيدوا القمني كمفكر وكإنسان والدفاع عنه في معركة قاهرة لا مجال فيها إلا الموت أو التراجع، والقمني كإنسان وكمفكر اثمن من معركة همجية، تندر بالويل والثبور.
أما الرد على تخرصات الزيات وكمال حبيب وهما يزينان صورة القتلة على الفضائيات ويصفون موقف القمني على انه الباحث عن الشهرة فهذا كلام هزيل لا مجال لمناقشته .
فكمال حبيب يحاول الاستفادة من الطريق الذي قطعه القمني على التكفيريين، برسم صورة مشوهة عن القمني وهو بصدد إنقاذ حياته وحياة عائلته، فوصفه حبيب: بأنه يحاول تعبئة الرأي العام ضد الجماعات الإسلامية ، لنسأل حبيب عن الذي يجب أن يفعله القمني بعد تلقيه تلك التهديدات؟ فمن جهة طُلب منه إعلان توبته ، وبعد إعلانها قالوا : انه يحاول تأليب المناخ العام علينا ، فهل لنموذج مثل القمني بحاجة إلى مسرحية هزيلة كهذه لتأليب وتعبئة الرأي العام، وهو الذي استطاع خلال بحثه وعبر منهجه المعروف للجميع وعلى مدى أكثر من خمسة عشر عاما الماضية وبأربعة عشر كتابا أن يضع مشروعه الفكري في قلب الخطاب العلماني الذي سوقه فتحا وكشفا واقتحاما جريئا وفذا لإضاءة مناطق مظلمة في ثقافتنا وتفكيرنا بجرأة لم يسبقه اليها احد حتى عدت جهود القمني ثورة ثقافية تستلهم وتطور التراث العقلاني في الثقافة العربية الإسلامية ليلائم بين تراثنا واحتياجات العالم القادم.
لقد مارس القمني حقه في هذا الإعلان وهو المسؤول الوحيد عن نتيجة موقفه وليس غيره ، بخاصة انه مارس من قبل حقه الصريح في السؤال وفي البحث وفي الإجابة، وحاول الالتزام به في مشروعه الفكري الذي رفض فيه تحجير العقل والإيمان باللغة وحسب، وفكك مقولة (المفارق سماوي) ، وتوصل إلى أنه لا شيء على الإطلاق يبدأ من فضاء من دون قواعد ومؤسسات ماضوية يقوم عليها ويتجادل معها، بل يفرز منها حتى لو كان مقدساً. وسعى القمني عبر دراسته للأديان عموما وللإسلام تحديدا إثبات أن لا شيء يأتي من فراغ، ولا يقفز فجأة من دون بنية تحتية تسمح به. لهذا السبب تعرض للتهديد.
فضلا عن ذلك لم تعجب الآخرين مواقف القمني من قضية العراق وموقفه الواضح من التغيير الذي حدث، وربما الظروف في مصر بحاجة إلى أزمة جديدة تغطي على المعترك الذي يعصف بحياة المصريين، وربما أسئلة أخرى كثيرة نجد صداها هنا وهناك تحاول أن تقترب من حقيقة إعلان القمني ، وربما يطالبه البعض بتقديم دمه لعالم التنوير العربي، بفهم أن الطرف الآخر يقدم ضحاياه وخسائره، فلماذا يستكثر القمني دمه ثمنا لعصر تنوير قادم، ، كل هذه الاحتمالات تعيدنا إلى لحظة محاكم التفتيش، لكننا نقول إن تهم الزندقة والهرطقة والمروق والخروج، هي صور خارجية عن مواجهة مميتة مع فكر الشر والقتل ، تنتهي بإعدام الضحية . فالقمني قال كلمته وهي بحد ذاتها مواجهة عقلانية مع التخلف والظلام والجهل، وها هو بإعلانه الأخير يكشف عن الوجه المظلم والدموي لهؤلاء ، حتى وان بدا كمن يبعد السيف عن رقبته وهو حق كفلته السماء والقوانين الوضعية .

قاسم محمد عباس
qassm950@yahoo.com

العلاقة بين المثقف والمؤسسة

أدباء الفرات يتحدثون عن اعادة بناء علاقة المثقف بالسلطة

المثقف حين ينزلق يكون اكثر خطراً وتحريضاً من السلطة

اذا كان المثقف مهمشاً في ظل النظام المقبور واستخدم كأداة لتنفيذ أهداف للسلطة آنذاك فقد انجر الى هذا التهميش الكثير من المثقفين بإرادتهم فيما سار الآخر مجبراً في ركابه في حين عانت القلة الرافضة للانصياع لجميع اشكال الضغط والتشريد لاجل تسليط الضوء على علاقة المثقف بالسلطة. كانت هذه الآراء التي هي خلاصة الندوة الحوارية بين الادباء والمثقفين في بابل.

محمد هادي

هناك اقصاء للمثقف عبر التاريخ العربي

يرى الناقد عبد علي حسن وجود تقاطع بين المشروع الثقافي للمثقف ومشروع السلطة. فالمثقف منتج للخطاب المعرفي الثقافي والنتاجات الأدبية والفنية في حين ان للسلطة مشروعاً ايديولوجياً مضاداً لمشروعه .

ويتفق الجميع على ان الواقع الموجود يجب تغييره عند ذلك يحصل التقاطع ويبدأ الخصام . وأكد على وجود تعارض بين المثقف والسلطة مشيراً الى وجود اقصاء في التاريخ العربي للمثقف، وتمنى ان لا تكون فكرة الحزب الواحد سيئة الصيت هي التي تطغى في المستقبل وتطرق الى منظمات المجتمع المدني كونها تدعو لعدم الاعتماد على السلطة من خلال التعاون مع المثقف وايصال الفكر الايديولوجي مع تفكيك عقدة الاستبداد مشيراً في نهاية حديثة الى ان المثقف كان يمسك الجمرة في زمن النظام المقبور .

جسور التواصل ضرورية

وقال الاستاذ احمد الناجي ان مد جسور التواصل بين المثقف والسلطة ضرورة وطنية ملحة، وحين يجري بحث اشكالية العلاقة بين المثقف والسلطة يجب معرفة تداخل نمطين مسار احدهما موازٍ لمسار الاخر وطبيعة العلاقة تكاملية بدعم وجود التنافس السياسي .. فالمثقف متحرر من مهيمنات الفكر الايديولوجي للمستقبل بمنجز ابداعي فيما تضع السلطة نصب أعينها توظيف المثقف لهيمنتها، واذا ما رفض التدجين فان السلطة قادرة على تهميشه ان لم تقض عليه نهائياً. وتساءل السيد الناجي هل بامكان المثقف ان يؤسس سلطته الى جانب السلطة السياسية؟
والاجابة بسيطة ومعقدة في الوقت نفسه لان التطورات الحضارية لا تتم بمعزل عن حقوق الانسان والحكم الديمقراطي ولا يرتضي المثقف الحقيقي ان يهمش بل سيبقى المدافع عن المقهورين.

مراعاة الموروث الثقافي

الشاعر حيدر الفيحان اوضح ان مراعاة الموروث الثقافي من الامور المهمة في مجتمعاتنا المشفرة ومفتاح شفرتها الاسلام ومن خيرة الامثلة على هذه الثقافة المواجهة للسلطة مشروع الشهيد محمد باقر الصدر.

الثقافة والسلطة موضوع قديم

وقال الاستاذ كاظم الطائي ان موضوعة المثقف والسلطة من الموضوعات القديمة التي اراها مستهلكة لقدمها لأن مسألة الثقافة هي تغيير وتبديل في المجتمع ومرتبطة ارتباطاً جدلياً به، وذكر بدور المثقف الروسي الرافض امثال غوركي وتولستوي ودستوفسكي والذي كان موقفهم تحريضياً برغم وجود الاستبداد وكذلك ادباء امريكا مثل كالدويل وجون شتاينبك وهمنغواي وهم ادباء اصدروا عناقيد الغضب وشتاء السخط وشارع السردين المعلب وارض الله الصغيرة ولمن تقرع الاجراس والشيخ والبحر ، واضاف الطائي ساخراً علينا ان ننظر الى واقعنا فهو غير معروف لقد مضى اكثر من سنتين ونحن في هذه الفوضى فهل هي ديمقراطية ام (شفافية) وتمنى ان ندخل الى الثقافة من مجالات جديدة تحدد دور المثقف.

المؤسسة الثقافية العراقية تأسست بشكل مشوه

الاستاذ ناجح المعموري ذكر ان المؤسسة الثقافية العراقية تأسست بشكل مشوه عن طريق المحاصصة وبدأت باجراءات من اجل تهديم الوزارة وتشكيلها بالصورة الجديدة وهذا يتنافى مع ما قدم من تطمينات بان الاختيار سيتم وفق الاعتبارات الموضوعية أي سيكون "الرجل المناسب في المكان المناسب" وضرب المعموري مثلاً في الحكومة الفرنسية وكيف ان شارل ديغول احتار في من يعين لهذا المنصب الخطير ودعا الى لقاء مع كل الرموز ، الى ان تم اختيار (مارلو) لتولي منصب وزير الثقافة الفرنسية، واقترح ايضاً انبثاق لجنة تنسيق للعمل الثقافي في محافظة بابل واشراك جمعية حقوق الانسان فيها موضحاً ان المثقف في مأزق بسبب أخطائه ولأنه خسر مجده الذي كان في الخمسينيات لذا نراه قد رضي بالذي حصل ويحصل من نسف لدوره وهو صامت ولن يستطيع المثقف قيادة الناس الا بتمثيل طموحاتهم وآمالهم، لكن ربما نزداد انحطاطاً بسبب انزواء المثقفين وصمتهم تجاه تسرب أدعياء الثقافة والصحافة الذين اندفعوا في وهم تأسيس الاحزاب التي ولدت ميتة. وختم المعموري حديثه داعياً كل مثقف الى ان يصرخ بعلو صوته موصلاً خطابه الرافض.
واشار الى انه وكلما تعززت الديمقراطية تعززت قدرة منظمات المجتمع المدني لكي نبتعد عن السلطة ومؤسساتها ونكون سلطة خاصة بالمثقف من اجل حياة جديدة .

يجب تأسيس الكيان الثقافي خارج احضان النظام

الاستاذ مكي محمد ردام بين ان السلطة هي هي والمثقف هو هو ولا تستطيع السلطة ان تمثل مصلحة الاكثرية في المجتمع مهما بذلت لان ثقافة السلطة يمثلها المثقف المنضوي تحت رعايتها اما ثقافة المجتمع فيمثلها المثقفون من خارج السلطة والمؤسسة الثقافية العراقية لم تشكل بعد برغم مرور هذه الفترة وعلينا ان نحرص على تأسيس الكيان الثقافي العراقي خارج احضان النظام لكي لا يكون تابعاً، وأكد ان الثقافة تعتمد على قدرة المجتمع لاستيعابها وتسليط الضوء على الجانب المشرق فيها.

ثقافة السلطة وسلطة الثقافة

بهذه العبارة بدأ الكاتب صلاح السعيد كلمته مبيناً ان ثقافة السلطة هي انتاج احادي الجانب كما فعل البعث الذي لم يسمح بأية ثقافة ضد افكاره، اما سلطة الثقافة فهي التي تمنع انقضاض أي كان لاستلام السلطة مؤكداً ان التهميش موجود حتى في سلطة الادارة المحلية التي احتلت مقرنا ورمت بنا على الرصيف اضافة الى استخفاف البعض بدور المثقف وعدم تقديرهم له موضحاً ان هناك صراعاً بين المثقف والفرد العادي سواء كان ضمن الشرطة ام الشارع.

الثقافة وديمقراطية الحوار

الشاعر مازن المعموري تحدث عن الديمقراطية والحوار ومحاولة البعض من التيارات إقصاء كل ما من شأنه ان يعرقل خطابها، لذلك فان الطبقة المثقفة يجب ان تأخذ دورها ومكانها الذي أثبت الواقع حاجته اليها، وأكد بأن المثقف ملزم بالتعامل مع العديد من التيارات من اجل ايجاد صيغ للوصول الى انهاء حالة الهيجان والقلق التي يعاني منها المجتمع العراقي والذي يشكل المثقف عنصراً مهماً من عناصره.

المثقف وتكريس الديمقراطية

د. سلام حربة قال: ان الذي يقرأ تاريخ العراق لا يعطي للمجتمع العراقي صفة (المتدين) بل ان المجتمع والبيئة العراقية ارض خصبة لنشوء الفكر السياسي وما موجود من تيارات دينية موجود في كل البلدان المجاورة والمشابهة ومنذ تأسيس المجتمع العراقي وجدت ثقافات واحدة في في الخفاء والظل والاخرى تمثل السلطة. اما دور المثقف الحالي فهو تكريس للديمقراطية فالشارع والاحزاب كلها تضم مثقفين وسيرشح من الافكار ما يخدم المجتمع .

نظرة فوقية

الناقد رشيد هارون اشتكى من النظرة الفوقية للسلطة في تحاورها مع المثقف داعياً الى وجود تواصل وايجاد علاقة شفافة موضحاً وجود فجوة على الرغم من ان المثقف كان اول من دعا الى دعم الحكومة الجديدة وظل يتأمل ولم تتوفر لحد الآن علاقة الود بين الطرفين.

علاقة المثقف بالمجتمع

الشاعر مالك المسلماوي اوضح في تعقيبه ان علاقة المثقف بالمجتمع اخطر من علاقة المثقف بالسلطة فالمعروف ان المثقف يمتلك وعياً متقدماً وعليه تفعيل دوره لكي لا تكون هناك تقاطعات.

لا يمكن للمثقف ان ينسى ما حصل

الشاعر ناهض الخياط عقب مبيناً ان كل ما جرى ويجري من مآسٍ وعرقلة لمستقبل العراق الجديد وما يحدث من مؤامرات كلها من تسربات النظام المقبور وستبقى المقابر الجماعية والديون والارهاب والفساد الاداري كلها من جرائم النظام السابق بحق شعبنا، ومن حق أي مثقف ان يحمل صفة ايديولوجية فلا وجود لمثقف مستقل وهي صفة عائمة وكم كنت اتمنى ان يكون له دور اكبر في كتابة الدستور وفي إقراره .

المؤسسة الثقافية غير مستقلة

المهندس البهاء زهير قال ان المثقف في عالمنا أكثر انغلاقاً من رجل الدين والسياسي ، إذ ان المثقف حين ينزلق يكون اكثر تشدداً من رجل السلطة بل انه يكون أحياناً أكثر من السلطة تحريضاً على الشعب والمواطن، وملخص القول ان المؤسسة الثقافية غير مستقلة في كل بلدان العالم الثالث.

الدين احد روافد التراث

الاستاذ امين قاسم خليل ركز على ملاحظتين مهمتين هما ان الدين رافد من روافد التراث ونحن ورثة عشرات الأديان آخرها الاسلام وغيره من روافد تشكل مكوناً ثقافياً معرفياً. وهناك استلهام متفاوت وفهم خارجي.
اما الملاحظة الثانية فهي ثنائية الثقافة والسلطة فهو يرى ان هذا ما يهدد الثقافة وهذا موجود في مصر وافغانستان وغيرها، فهناك قوى اجتماعية تملك السلطة بل ان سلطتها ارحم من بعض القوى داخل المجتمع وتأثيرها كبير ومؤثر.

مفترق الطرق

الشاعر جبار الكواز قال ان المثقف العراقي يقف اليوم امام مفترق طرق فلابد له من الانحياز الى الحياة والا فانه سوف يبقى قاصراً عن الاتصال بزمنه .

قصيدتان

سهيل نجم

بيضاء

كي تشمي اصطيادي
وضعتني في علبة المنفى،
مخبأ في الملفات السرية للزمان
حريتي مع الحروف الأسيرة
للمصادفة
ولساني تكبله العادة
والخوف من الزلل.
هل علمت بأن الكمان
كان يحفرَ في الهواء
ضحكات الألوان
حتى تبعثر بياضك
على خد الماء
وصرت موجة تنكسر
كل حين؟
هل أنصتت لك فظاظة الحزن
فابتهجت
لتزيحي قناع الألفة
ممتداً على شجيرات النهار
وتكشفين عزلة الموسيقى
في احتشاد التعزية؟

بمن احتمي منك؟
ومن سيمنحني هوية أخرى
تغير لي لوني وأخطائي؟
أنت
تارة تسخرين من إرادتي
وتارة تبكين انفرادي.
بيضاء
في كوة الليل وجدتني
ألم فوضاي
في البلد
الذي ليس لي
متبجحاً بصخبي
مواريا خيبة الإنكسار
بمثالب تعرفني
ولا أنكر فطنتها.

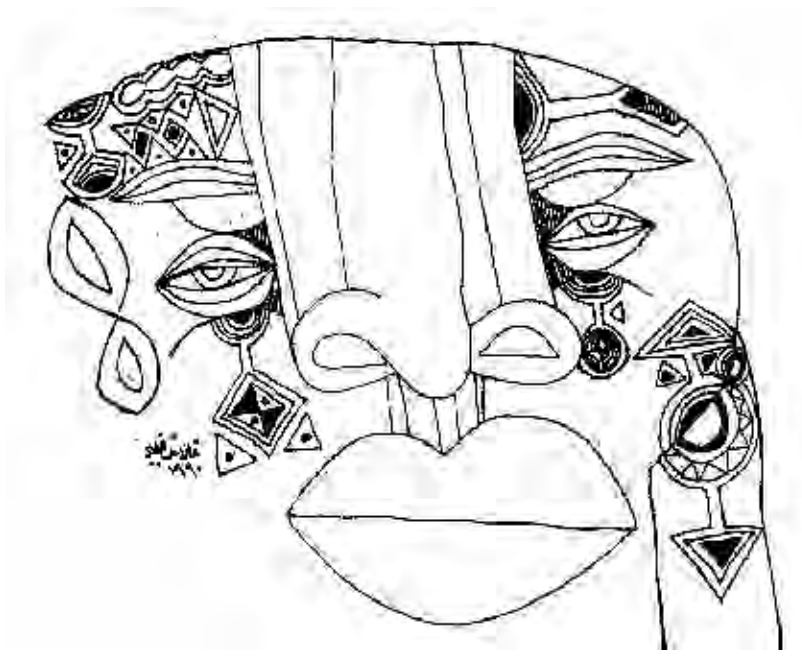

ما جدوى...

على روح الإنسان
ليجعل منه شاعراً
ويملأ جعبته بالقصائد
بينما يحشو قلبه بالحزن
ويكويه بالفقر
والحصانة ضد العقل.

أحياناً
مثل طائر غريب
يحط الجنون الباذخ

البحر يخرج من مرآة

وارد بدر السالم

ثمة يد ماهرة صنعت البحر وجعلته في أعلى درجات الهدوء : بحرٌ صافٍ يخرج من مرآة، موج أزرق خفيف كقطعة قماشٍ براقة، يعكس سماء صافية هي الأخرى، لكن الصيادين لا يرونها بسبب المساحة الصغيرة التي يشغلها كل البحر في أعلى المكان المتاح، الأمر الذي جعل تلك اليد الماهرة تضع الشمس البيضاء أسفل البحر من الجهة اليسرى، في محاولة لتغيير نمط الطبيعة الثابت : البحر أعلى المشهد والشمس أسفله، تبث شعاعها باستكانة ورهافة.
صيادون يتناوبون على ساحل البحر بربط ثلاثة مراكب متراقصة وثلاث شباك غطتها رائحة السمك : متشابهو الملامح والأطوال والملابس. لا يتكلمون كثيراً. يبدون منشغلين بهموم لا يمكن التحقق منها الآن ؛ أكبرهم سناً أفتاهم، لكنهم في لحظة التوثيق يبدون متكافلين ومتضامنين لقدر الطبيعة الهادئة : بحرٌ وشمسٌ استبدلا دلالتيهما ليجربا شكلاً آخر من الحياة. . على نحو مباغت تنبثق من البحر حورية لها شكل الموج : زرقاء كعين قطة سيامية، ممشوقة كسمكة فتية، بزغت بشكل مثير وتعالت وقتاً بدا ساحراً للصيادين الثلاثة الذين انعقدت ألسنتهم وغمرتهم الدهشة الممتزجة بخوفٍ طارئ، بثت في الأجواء المحاطة بالصمت عطراً بحرياً غريباً لم تألفه أنوف الصيادين.
انزلقت الحورية الزرقاء الى وسط المكان، لتكون مرتكزاً لمشهد أليف : هناك بيانو مهجور في مركز الحياة الصغيرة تجرأت عليه عناكب البحر وتجولت على أزراره، لم يلفت أنظار الصيادين طيلة الزمن الملون الذي يعيش فيه الجميع.. الحورية الزرقاء تغير الحالة الصامتة الى موسيقى خفيفة، كأنها رياح قادمة من أعماق البحر، فتهتز المراكب الثلاثة في رقصة واحدة، كما لو أن روحاً استشرت فيها، بينما ازداد الصيادون صمتاً في هذه اللحظة المعطرة بالأحلام.
لا تزال الشمس أسفل البحر، لكنها الآن تستجيب لنداء الحورية الزرقاء ؛ فتتحرك الى جهة اليمين، مخلفة في موقعها بقعة بيضاء يختلط فيها طيف أزرق صبغها قبل قليل.
الصيادون الثملون بالموسيقى الزرقاء نزلوا الى البحر بأطوالهم المتشابهة، تنعكس عليهم شمس اليمين فتزيدهم بياضاً، فيما بقيت الحورية تعزف لحن البحر بريح تنقشر كالموج الأزرق الخفيف.. يطربها سحر اللحظة عناكب البحر؛ وتهيجها موسيقى الصمت الحالمة ؛ فتتراقص على رمل أملس وترسم خطوطاً متوترة بين أصابع حورية البحر التي هزت أركان المكان وفضت بكارته.. الحورية الثانية تهادت رشيقة ومرت كطيف شفيف على رؤوس الصيادين الثملين بغموض الواقعة الجميلة، متجهة الى الشمس الساكنة. كانت بنفسجية ومعشبة : عشب البحر منعقد عليها كإكليل يتقطر الماء الأخضر من ذؤاباته.
تتحرك الشمس الى وسط المكان وتتقوس لتضم جسد الحورية البنفسجية التي ذابت بين ريحها البيضاء. العناكب تزحف الى البحر. الصيادون الثلاثة يخرجون من البحر. حورية البيانو تعزف بأصابع غير مرئية. البيانو المهجور يتناغم مع سحر المشهد العاصف بالسكون المتحرك.
يمكن الآن رؤية قمر فضي براّق بحجم صحن صغير في أعلى المكان من يمينه. انكشف في لحظة تحرك الشمس الى وسط المشهد الأزرق. القمر الصغير كعين بيضاء يطيل النظر الى الصيادين الثلاثة المأخوذين بسحر الحوريتين.
البحر يخرج من مرآة، وحورية ثالثة خضراء تخاصر نثيث ماء خرج معها من سرة القاع ، تخطف عيون الصيادين وتبهر الشمس والبيانو المهجور. حورية من عشب وزنبق أخضر فاقع.